مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:839–865 تاريخ النشر:27–06–2021

مكامن الإبداع الفني في التراث العربي
ـ مقاربة نقدية في صحفية بشر بن المعتمر (210 هـ) ووصية أبي تمام (231 هـ) للبحتري (284 هـ)ـ

The Aspects of Artistic Creativity in the Arab heritag - Critical approach to the paper of Bichr Ibn El-Moutamer (210 AH) and the Will of Abou Temmam (231 AH) to El-Bohteri (284 AH)-

د. شافية هلال
chafia.helal@gmail.com
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة

تاريخ الإرسال:29–01–2021 **تاريخ القبول:19–05–2021**

I. **الملخص:**

تحاول هذه الورقة البحثية الولوج إلى مكامن الإبداع في تراثنا العربي مستندة على نصوص تراثية متميزة من شواهدها "صحفية بشر بن المعتمر ووصية أبي تمام للبحتري" في مقاربة نقدية فاعلة حاول فيها الباحث أن يبرز جهود النقاد العرب في هذا المجال، والكشف عن الإدراك الواضح والمبكر للعمليات النفسية الكامنة وراء فعل الإبداع.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

وهذه المقاربة بطرحها تجسد أصالة التجربة ونضجها الفني في التراث، ويمكن أن ينظر إليها مجتمعة على أنـــّها محاولة مبكرة وجادة في إطار التأصيل للإبداع الفني في النقد الأدبي عند العرب في ذلك العصر.

الكلمات المفتاحية: الإبداع، الممارسة النقدية، صحيفة بشر بن المعتمر، وصية أبي تمام للبحتري، النص التراثي.

I. ABSTRACT:

This research paper attempts to gain access to creativity points in our Arab heritage, based on distinct heritage texts from the evidence of " Bichr Ibn El-Moutamer" and the Will of Abou Temmam to El-Bohteri in an effective critical approach in which the researcher tried to highlight the efforts of Arab critics in this field, revealing a clear and early awareness of the psychological operations underlying the act of creativity.

This approach, by its presentation, embodies the originality of this experience and its artistic maturity in the heritage, and it can be seen globally as an early and serious attempt within the framework of rooting the artistic creativity in literary Arab critics of that era.

Keywords: Creativity, Critical Practice, Bichr Ibn El-Moutamer paper, Will of Abou Temmam to El-Bohteri, Heritage text

1. المقدمـــة:

يعالج هذا البحث مظاهر التناول النقدي لظاهرة الإبداع الفني في نصيين تراثيين متميزين؛ هما: "**صحفية بشر بن المعتمر** (210هـــ) **ووصية أبي تمام** (231هـــ) **للبحتري** (284هـــ)" محاولا من ورائه الكشف عن طبيعة فهم أصحابها للإبداع، وموقفيهما منه، وطريقة معالجتهما للعملية الإبداعية، مستعينا على ذلك بمقاربة نقدية للوقوف على

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

مواطن التلاقي والمفارقة بينهما، وتكمن أهميته في كونه محاولة جادة للكشف عن الذهنية النقدية العربية القديمة التي استطاعت أن ترسم لنا طريقا صحيحا لفهم عملية الإبداع، مما فتح أمام وعينا المعاصر آفاق تأمل معجب بنصوص تراثنا القديم، الذي كلما ازددنا معرفة به، ازدادت أبعاده عمقا وتجددا.

ولكي يتخذ البحث إطاره العلمي لابد من تحديد الإبداع في التراث العربي، ثم الوقوف على الإبداع والتجربة النقدية العربية التراثية لتأكيد نمو الجهد النقدي العربي، مرورا إلى مكامن الإبداع في "صحيفة بشر بن المعتمر ووصية أبي تمام للبحتري" ووصولا إلى قراءة نقدية ناجعة للإبداع الفني.

والدراسة ستعتمد بشكل أساس في توثيق نص الصحيفة على ما أثبته الجاحظ (255هـ) في مصنفه "البيان والتبيين"[1]، ، وهو ما يمكن الاطمئنان إليه، لكونه أقرب إلى الصحة، نظرا لاختلاط الآراء بين أبي هلال العسكري (395 هـ) وبشر بن المعتمر، وللإيجاز الشديد في عمدة ابن رشيق القيرواني (456هـ). أما نص الوصية فالدراسة اعتمدت على ما جاء في كتاب "العمدة لابن رشيق القيرواني"[2].

2.حد الإبداع في التراث العربي: الإبداع في مادته اللغوية مستمد من مادة "بدع "؛ فالباء والدال والعين أصلان، يدل أحدهما على ابتداء الشيء وصنعهُ لا عن مثال؛ يقول ابن فارس (395هـ): «أبْدعتُ الشيء قولا أو فعلا، إذا ابتدأته لا عن سابق

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة السابعة، 1418هـ–1998م ج: 1، ص: 135–139.

[2]– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الخامسة، 1401هـ–1981م.ج2، ص: 114–115.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

مثال.» [1]، ويقال: بَدَعَ الشّيءَ يَبْدَعُه بَدْعًا وابْتَدَعَهُ: أنْشَأَهُ وَبَدَأه[2]، وأبدع الشاعر: أتى بالبديع من القول المخترع على غير مثال سابق[3]، والبديع: المحدث العجيب[4].

أما اصطلاحا: فيحدد صاحب "التعريفات" الإبداع بقوله: «الإبداع إيجاد الشيء من لا شيء، وقيل: الإبداع: تأسيس الشيء عن الشيء»[5].بينما كان صاحب "الكليات" أكثر دقة وأشد ضبطاً لهذا المصطلح فقال: «الإبداع: لغةً، عبارةٌ عن عدم النظير. وفي الاصطلاح: هو إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود. قيل: هو أعمُّ من الخلق بدليل: « بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ» و«خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ»[6] و لم يقل بديع الإنسان. وقيل هو إيجادُ الأيس عن الليس و الوجـــود عن كتم العدم. وقال بعضهـــم: الإبداع: إيجاد شيء غير مسبوق بمادّة ولازمان...»[7]

[1]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399 هـــ–1979م، ج: 1، ص: 209 (مادة بدع).

[2]– ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة–جمهورية مصر العربية، مج: 1، ص: 229 (مادة بدع).

[3]– الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـــ–1987م، ج: 20، ص: 311. (مادة بدع).

[4]– ابن منظور، لسان العرب، مج: 1، ص: 230 (مادة بدع).

[5]– الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة–جمهورية مصر العربية، ص: 10.

[6]– سورة البقرة، الآية: 117، 164.

[7]– أبو البقاء الكفوي، الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، الطبعة الثانية، 1419هـــ–1998م، ص: 29.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

ويمتد لفظ الإبداع ليتداخل ويتشاكل مع معان عديدة، وقد يحل في بعض الأحيان مكانها في الاستخدام، لعل أبرزها: الاختراع والاكتشاف، والصنع، والخلق، والايجاد، والإحداث والفعل والتكوين، والجعل ... [1]

وقد تعرض "أحمد مطلوب" بحسه النقدي في كتابه" معجم النقد العربي القديم" لمصطلح الإبداع عند بعض النقاد والبلاغيين، مؤكدا أن الإبداع الفني سمة الشاعر المبتكر والكاتب المقتدر، وقد وضعه البلاغيون والنقاد في قمة الإنتاج[2]؛ قال ابن رشيق: «الإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف، والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر، فصار الاختراع للمعنى والإبداع للفظ. فإذا تمّ للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد، وحاز قصب السبق.» [3]

وبهذا المعنى تقريباً ذهب ابن الأثير (637هـ) إلى أن الإبداع: «إنما يقع في معنى غريب لم يطرق، ولا يكون ذلك إلا في أمر غريب لم يأت مثله، وحينئذ إذا كتب فيه كتاب، أو نظم فيه شعر فإنّ الكاتب والشّاعر يعثران على مظنّة الإبداع فيه.» [4]

يقول الوطواط (573ه): «قال أرباب البيان إن هذه الصنعة عبارة عن نظم المعاني البديعة في ألفاظ حسنة بعيدة عن التكلف، وفي رأي أن ذلك لا يدخل في جملة

[1]– لمزيد من التفاصيل يراجع: أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص: 29–30.

[2]– ينظر: أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد–العراق، 1989م، ج: 1، ص: 70–73.

[3]– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 1، ص: 265.

[4]– ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة–مصر، ج: 2، ص: 37.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

الصناعات لأن كلام العقلاء والفضلاء، سواء المنظوم منه أو المنثور، يجب أن يكون على هذا النسق، فإن لم يكن كذلك اعتبر من أحاديث العوام.»[1]

3.الإبداع والتجربة النقدية العربية التراثية :

إن العلاقة القائمة بين الإبداع والنقد تكاد تكون ملتبسة، فالنقد هو في حد ذاته إبداع؛ أو إبداع فوق الإبداع؛ والإبداع يحتمل قراءات غير متناهية، إن موضوع الإبداع **"Creativity"**من أكثر موضوعات علم النفس المعرفي غموضا في العصر الراهن؛ حيث تكثر به المفاهيم المراوغة، والتي يصعب السيطرة عليها والوقوف على كل جوانبها وأبعادها.[2]

إن دراسة الإبداع أشد تعقيداً من النقد الأدبي، وأكثر منه صعوبة، وهي خطوة تالية له، فيها من العمق والنفاذ أكثر ممّا فيه. فالنقد إذا ما حاول تجاوز التحليل والتفسير والتقويم والحكم، فإنه لا يصل إلى أبعد من ربط النص بمجتمعه أو مبدعه، أو مقارنته بغيره، ووضعه في سياقه من تاريخ الأدب، أما دراسة الإبداع فإنها تتجاوز ذلك كله إلى النظر في العملية التي أنتجت النص، بما في تلك العملية من أبعاد نفسية واجتماعية وتاريخية وثقافية، وهي تسعى إلى تكوين رؤية شاملة، تكشف قوانين عملية الإبداع، وشروطها، ودوافعها، ومستوياتها، ودرجاتها، من أجل التحكم بها، والتدريب عليهـــا،

[1]– الوطواط، حدائق السحر في دقائق الشعر، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، المركز القومي للترجمة، القاهرة–جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية، 2009م.ص: 188.

[2]– ينظر: روبرت ج.ستيرنبرج، المرجع في علم نفس الإبداع، ترجمة: محمد نجيب الصبوة وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة–جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 2005م.ص: 7.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

والإعداد لها.[1]

ولو عدنا إلى تراثنا العربي لوجدنا أن النقاد العرب، قد عنوا بقضية الإبداع الفني، وخصصوا لها حيزا مهما في مصنفاتهم، وإن لم يستخدموا في كثير من الأحايين لفظة الإبداع بصفة مباشرة، بل لبست مسميات أخرى تؤشر على أن المقصود هو الإبداع" كالموهبة والملكة، والصناعة "؛ فالموهبة طاقة فطرية وهي سر الإبداع الجيد، والصناعة قدرة مكتسبة وهي مطلب لإنتاج ذلك الإبداع يستمد منها قيمته الفنية وتتشكل بها أبعاده الجمالية، وبهذه النظرة إلى الإبداع الفني والتي تحمل في ثناياها مفهومي الموهبة والاكتساب، ما نلمسه في دراسة "بشر بن المعتمر" الذي يعد من أوائل النقاد، وأهل البلاغة الذين تعرضوا لموضوع الإبداع الفني، هذا الأخير الذي اعتبره مهارة مكتسبة كغيره من الصنائع، وليس حكرا على الموهوبين. وهذا ما سنتطرق له في ثنايا هذه الدراسة لاحقا.[2]

ويتوافق ابن سلام الجمحي (231هـ) في نظرته للإبداع الفني والشعري على وجه التحديد مع بشر بن المعتمر حين قرر في مقدمة مصنفه الشهير "طبقات فحول الشعراء" أن الإبداع يأتي بالمراس والدربة على الشيء، يقول: «وللشعر صِناعة وثَقافةٌ يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصّناعات»[3]

[1]– أحمد زياد محبك، قراءة الإبداع في صحيفة بشر بن المعتمر، مجلة علامات في النقد، ج21، المجلد: 6، النادي الأدبي الثقافي بجدة–المملكة العربية السعودية، سبتمبر: 1417–1996م.ص: 133.

[2]– ينظر تفصيل ذلك في مبحث "مظاهر التناول النقدي للإبداع في النصيين" من هذه الدراسة.

[3]– ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، ج: 1، ص: 5.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

وإذا تصفحنا كتابات النقاد القدماء الآخرين، نجد أن أبا حيّان التوحيدي (414هـ) قد نحى نحو الجاحظ تقريبا في تناوله للإبداع الذي يرى أنه: واحدٌ من الطبائع التي جُبِلَ الإنسان عليه وذلك في إطار حديث الجاحظ عن صحيفة بشر بن المعتمر، ذاهبا إلى أنّ الإبداع موهبةٌ خاصّةٌ لا تؤتى إلا لقلّة من الناس، مميَّزا بين الطبيعة والصِّناعة أي الموهبة الطبيعية والجهد الذاتي، مؤكِّداً على اختلاف الإبداع عن أيِّ عملٍ آخر من حيث شروط الإبداع وحقيقته[1]. فنراه مثلا يقرر في فن البلاغة: «ومن استشار الرَّأي الصَّحيح في هذهِ الصِّناعة الشَّريفة علمَ أنَّه إلى سلاسة الطبع أحوج منه إلى مغالبة اللفظ، وأنَّه متى فاته اللفظ الحر لمْ يظفرْ بالمعنى الحر، لأنَّه متى نظم معنىً حرا ولفظا ًعبداً أو معنىً عبداً ولفظاً حرا، فقد جمع بين متنافرينِ بالجوهر ومتناقضين بالعنصر»[2]

كما أولى ابن خلدون (808هـ) الإبداع أهمية كبيرة، فتحدث عن طبيعته والظروف المفضية إليه، مستخدما في ذلك لفظة "**الملكة**" بمعنى" **الموهبة**" ذاهبا إلى أن: «الملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة... »[3]

[1]– ينظر: مهدي شاكر العبيدي، أبو حيان التوحيدي ونبع النتاج الأصيل، بحث منشور على شبكة الانترنت، بموقع الحوار المتمدن، محور: الأدب والفن، العدد: 6311، تاريخ النشر: 2019/08/5، التوقيت: 00: 20. https: //www.ahewar.org/debat/nr.asp

[2]– رسالتان للعلامة الشهير أبي حيان التوحيدي(الرسالة الثانية: في العلوم)، مطبعة الجوائب بالاستانة العليه، قسطنطينية، الطبعة الأولى، 1301ه، ص: 206.

[3]– ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد درويش، دار يعرب، دمشق–سورية، الطبعة الأولى، 1425هـ–2004م، ج: 1، ص: 90 (الفصل السادس عشر: في ان الصنائع لا بدّ لها من المعلم).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

إن هذه النصوص التي بين أيدينا تثبت تفطن بعض النقاد القدامى إلى العملية الإبداعية الفنية التي خصصوا لها حيزا مهما في مصنفاتهم، كما تأكد نمو الجهد النقدي وتطوره وأنه في تقدم مستمر.

4.مكامن الإبداع في صحيفة بشر بن المعتمر ووصية أبي تمام للبحتري :

4.1 التعريف والتوثيق :

الوثيقة الأولى/الصحيفة :

صاحب الصحيفة هو أبو سهل بشر بن المعتمر، الكُوْفِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، رأس المُعْتَزِلَةِ، قال الشريف المرتضى: يقال: «إن جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه.»[1] تنسب إليه "الطائفة البِشْرِية"* توثقت صلته بالرشيد وبالفضل بن يحيى البرمكي، فهو يعد من أشهر بلغاء ونقاد القرن الثاني الهجري، وإليه تنسب بعض نصوص الشعر التعليمي، فقد ذكر الجاحظ في حديثه عن رواية المعتزلة للشعر: «وكان بشر أرواهم للشّعر خاصّة»[2]، من مصنفاته: كِتَابُ (تَأْوِيْلِ المُتَشَابِهِ)، وَكِتَابُ (الرَّدِّ عَلَى الجُهَّالِ)، وَكِتَابُ (العَدْلِ)، توفي سنة عشر ومئتين[3].

[1]– الشريف المرتضى: أمالي المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر عيسى البابي الحلبي، 1373هـ–1954م، ج: 1، ص: 186.

*– ويعدّ بشر شيخ فرقة البشرية التي سميت باسمه، تسمو بالعقل، وتعتدّ بمقاييسه في جوانب الفكر والكلام.

[2]– الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، 1384هـ–1965م، ج: 6، ص: 405.

[3]– ينظر تفاصيل حياة الكاتب: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ–2002م، ج: 2، ص:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

أما عن الظروف التي دعت إلى كتابتها ما رواه الجاحظ: « مر بشر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السَكوني الخطيب، وهو يعلم فتيانهم الخطابة، فوقف بشر فظن إبراهيم أنَه إنَما وقف ليستفيد أو ليكون رجلًا من النظارة، فقال بشر: اضربوا عما قال صفحًا، واطووا عنه كشحًا. ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه»[1]

وفي النص المصاحب ما ذكره الجاحظ من إشادة إبراهيم السكوني، ثم قال بشر: « فلما قرئت على إبراهيم قال لي: أنا أحوج إلى هذا من هؤلاء الفتيان.»[2]

أول ما يستوقفنا في الصحيفة أنها لم ترد مستقلة بذاتها وإنما ضمن طيات ثلاث مظان، بينها تفاوت واضطراب مخل في المتن ربما مرده إلى أن الصحيفة تعرضت للتحريف والتقديم والتأخير في مصادرها الأولى التي استقت منها المصادر التي بين أيدينا وقد يكون كل من المؤلف والناسخ مسؤولين عن هذا التقديم والتأخير، فلم يصلنا من الصحيفة نص ثابت أو كامل؛ فقد وصلتنا فقرات وشذرات منها متناثرة في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، ووردتنا مختلطة بآراء العسكري (395 هـ) في "كتاب الصناعتين" الباب الثالث: في معرفة صنعة الكلام وترتيب الألفاظ، الفصل الأول: في كيفية نظم الكلام والقول في فضيلة الشعر وما ينبغي استعماله في تأليفه[3]،

214.الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 1402هـ1982م، ج: 10، ص: 203.

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، ج: 1، ص: 135.

[2]– المصدر نفسه، ج: 1، ص: 136.

[3]– العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الاولى، 1371هـ–1952م، ص: 134–135.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

وموجزة جدا في كتاب "العمدة" لابن رشيق القيرواني، تحت باب عمل الشعر وشحذ القريحة له.[1]

الوثيقة الثانية/الوصية :

صاحب الوصية هو أحد أمراء البيان؛ أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، ولد بمدينة جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر في حداثته فجالس الأدباء وأخذ عنهم حتى تفتقت شاعريته وذاع صيته، استقدمه المعتصم إلى بغداد وأجازه وقدمه على شعراء وقته. قال البديعي: «كان أبو تمام أوحد عصره في ديباجة لفظه ونصاعة تعبيره، وحسن أسلوبه... وكان له من المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره، حتى قيل: إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب، غير المقاطيع والقصائد.» [(2)]، له تصانيف، منها: ديوان الحماسة، فحول الشعراء، ومختار أشعار القبائل، الوحشيات أو الحماسة الصغرى، توفي بالموصل في سنة مائتين وواحد وثلاثين.[3]

أما عن ملابسات الوصية فقد وردت في شكل افتتاح وجيز قد مهد به البحتري منبها إلى الدوافع التي جعلت أبي تمام يعطيه هذه التعليمات و التوجيهات والتي لخصها البحتري في اعتماده على طبعه وموهبته في بداياته الأولى في نظم الشعر و لم يكن يملك

[1]– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 1، ص: 212– 214.

[2]– البديعي: هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام، تحقيق: عبد الإله نبهان و عبد الكريم الحبيب، المجمع الثقافي، أبوظبي–الإمارات العربية المتحدة، 1424 هـ –2003 م، ص: 33–34.

[3]– ينظر تفاصيل حياة الشاعر: ابن المعتز، طبقات الشعراء، قدم له وشرحه ووضع فهارسه: صلاح الدين الهواري، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 2002م.ص: 258–262.الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر–بيروت، الطبعة الثالثة، 1429هـ–2008م، ج: 16، ص: 265–278.ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت–لبنان، 1972م،، ج: 2، ص: 11–26.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

أداة أخرى تسهل عليه تنمية تلك القدرة إلى أن اتصل بالشاعر الفحل أبي تمام الذي تلمس فيه علامات النبوغ والتمايز الشعري بحنكته وخبرته ونظرته الثاقبة فقرر أن يأخذ بيد تلميذه ويصله إلى بلوغ الذروة في هذا الفن، موجها له وصية تشمل الطريقة الأمثل والأسلم لنظم الشعر ورصف مبانيه وإتقان نسجه.

نص الوصية: قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري: «كُنتُ في حَداثَتي أرُومُ الشِّعْرَ، وكنتُ أَرْجِعُ فيهِ إلَى طَبْعٍ، ولَمْ أَكُنْ أَقِفُ علَى تَسْهيلِ مَأْخَذِهِ، ووجُوهِ اقْتِضابِه، حتى قصدتُّ أبا تَمَّام، وانقطعتُ فيه إليه، واتَّكلْتُ في تَعريفِه عليه؛ فكانَ أوَّل ما قال لي :

يا أبا عُبادة؛ تَخيَّر الأوقاتَ وأنت قليلُ الهُمومِ، صِفْرٌ من الغُمومِ. و اعْلَمْ أنَّ العادةَ في الأوقاتِ أن يقصدَ الإنسانُ لتأليفِ شَيْءٍ أو حِفْظِه في وَقْتِ السَّحَرِ؛ وذلكَ أنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحةِ، وقِسْطَهَا مِنَ النَّوْمِ. فإنْ أردتَّ النسيب؛ فاجْعَلِ اللَّفْظَ رَقيقا، والمعنَى رَشيقًا، وأَكْثِرْ فيه مِن بَيانِ الصَّبابةِ، وتوجُّعِ الكآبَةِ، وقَلَقِ الأَشْوَاقِ، ولَوْعَةِ الفِراقِ. وإذا أَخَذْتَ في مَدحِ سيِّدٍ ذي أيادٍ؛ فأشْهِرْ مَناقِبَهُ، وأظْهِرْ مناسِبَه، وأَبنْ مَعالِمَهُ، وشرِّفْ مقامَهُ. وتقاضِ المعانيَ، واحْذَرِ المجهولَ مِنْها. وإيَّاكَ أن تَشينَ شِعْرَكَ بالألفاظِ الزرية، وكنْ كأَنَّكَ خيَّاطٌ يقطعُ الثِّيابَ علَى مَقاديرِ الأجسام. وإذا عارَضَكَ الضَّجَرُ؛ فأَرِحْ نَفْسَكَ، ولا تعملْ شِعْرَكَ إلاَّ وأنتَ فارغُ القَلْبِ، واجْعَلْ شَهْوَتَكَ لقولِ الشِّعْرِ الذَّريعةَ إلَى حُسْنِ نَظْمِهِ؛ فإنَّ الشَّهْوَةَ نِعْمَ المُعِينُ. وجُمْلَةُ الحالِ أَن تعتبرَ شِعْرَكَ بما سَلَفَ مِن شِعْرِ الماضينَ، فما اسْتَحْسَنَ العُلَماءُ فاقْصِدْهُ، وما تَرَكُوهُ فاجْتَنِبْهُ؛ ترشد إن شاءَ اللهُ تعالى.»[1]

وما يمكننا أن نسجله حول الوصية ورودها بين ثنايا مظان قديمة كثيرة بينها تفاوت في المتن يعزى بالأساس إلى الزيادات التي اختلفت مصادرها، منها ما كان من

[1]– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2، ص: 114–115.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

العلماء الشارحين، وهم يعلمون طلابهم النص وما يستدعيه ذلك من تفصيل وتقييد وإضافات وشرح، ومنها ما تعلق باختلاف درجات فهم الطلبة لحدود النص في سياق شرح المدرسين، فيدرجون فيه ما ليس منه، وإما أن يكون مصدر الزيادة من فعل النساخ و الوراقين دون تمييز بين النص الأصلي والمضاف[1]، ومن المصادر التي ضمت بين ثناياها هذه الوصية نذكرها بالترتيب الزمني :

"زهر الآداب وثمر الألباب للحصري (453هـ)[2]، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق (456هـ)[3]، شرح مقامات الحريري للشريشي (619هـ)[4]، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري (654هـ)[5]، منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني (684هـ)[6]، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (837هـ)."[7]

[1]– ينظر: عبد الكريم محمد حسين، وصية أبي تمام للبحتري الإسناد والتوثيق، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 19، العدد: 3+4، سنة: 2003م، ص: 19–21.

[2]– الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت–لبنان، الطبعة الرابعة، ، 1900م، ص: 52.

[3]– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2، ص: 114–115.

[4]– الشريشي: شرح مقامات الحريري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، 1998، ص: 97.

[5]– ابن أبي الأصبع: تحرير التحبير، تحقيق: حفني محمد شرف، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1995، ص: 410.

[6]– ينظر: القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي–بيروت، الطبعة الثالثة، 1986م، ص: 203.

[7]– الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث، بيروت–لبنان، ص: 236.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

قد تعرضت الوصية للشك في صحة نسبتها إلى أبي تمام، إلا أن الدراسة الرصينة التي قام بها الباحث "عبد الكريم محمد حسين" الموسومة بـــ "وصية أبي تمام للبحتري الإسناد والتوثيق" قطعت الشك باليقين وأثبت أنها منسوبة إلى أبي تمام لا لغيره بتحقيق نص الوصية في نصوص القدماء، يقول: «فالوصية ليست موضع شك، والتلمذة ثابتة، واقتدار التلميذ على تمثلها في شعره هو الذي دعا كتابها ورواتها للقول على لسان البحتري: (فأعلمت نفسي فيما قال، فوقفت على السياسة)[1]، أي سياسة الشعر.»[2]

4.2.بين الصحيفة والوصية :

1– أول ما يسجل عن الصحيفة والوصية أن طبيعة البيئة التعليمية في القرن الثاني والقرن الثالث كانت مسؤولة عن ظهورهما، فهما ينتميان إلى عصر واحد، يتناغمان معا في جو أدبي وفكري وثقافي واحد.[3]

2– كل من الصحيفة والوصية تندرج تحت حرص القدماء على رعاية المواهب الفذة، وتزويدها بالتوجيهات التي تساعدها على شحذ طبعها وصقل مواهبها الغضة الطرية حتى تستحيل قادرة على القول على بينة من أمرها؛[4] كما يمكن أن نصنفهما تحت

[1]– هذه العبارة أضيفت في آخر الوصية في كتاب زهر الآداب على ما جاء في كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده.

[2]– ينظر الموضوع بالتفصيل: عبد الكريم محمد حسين، وصية أبي تمام للبحتري الإسناد والتوثيق، ص: 37.

[3]– ينظر: داود سلوم، النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف، مكتبة الأندلس، بغداد–العراق، الطبعة الثانية، 1970م، ص: 190.

[4]– ينظر: سعيد بكور، قراءة في وصية أبي تمام للبحتري، بحث منشور على شبكة الانترنت، بموقع مجلة رابطة أدباء الشام، قسم: النقد الأدبي، 21 كانون الثاني 2012م.
http: //www.odabasham.net

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

باب الوصايا النقدية التي تشتمل على: «القواعد والقوانين التي لابد للمبدع أن يراعيها لحظة الإبداع والتي لابد للكاتب أن يتقيد بها عند الكتابة وبمقدار تقيده بها أو بعده عنها يكتب لأدبه من الجودة والانتشار أو الاستهجان والرداءة.» [1]

فصحيفة بشر موجهة لكل المبدعين، خطباء وكتاب وشعراء، أما وصية أبي تمام فهي موجهة إلى كل مبدع شاعر.

3– ولعل ما يميز النصين اختزالهما اللفظي واقتصادهما اللغوي؛ فالصحيفة تمتاز بصغر حجمها وتشتت مباحثها، ولو أن وصية أبي تمام أقصر منها، ، فأبو تمام في وصيته أديب شاعر وبشر في صحيفته أديب ناقد.

4– المطلع على النصين يشعر أن الوصية ماهي إلا امتداد وتوضيح لما ورد في الصحيفة، ولو أنه من الصعب تأكيد مسألة تأثر أبي تمام بصحيفة بشر، فليس ببعيد أن يتلقى كل منهما رأي الآخر، ولكن ما يمكن تأكيده هو أن صحيفة بشر أسبق من وصية أبي تمام، لأن عمر البحتري حين توفي بشر كان لا يزيد على ست سنوات، ولا يمكن أن تكون الوصية قد ألقيت عليه إلا بعد ذلك بزمن غير قليل.

ولو تتبعنا بعد ذلك الأعلام الذين تجاوبوا مع بشر بن المعتمر في عصر واحد، نجد أن بشرا المُتَوَفَّى عام 210هـ هو أسبق من ابن سلام الجمحي المُتَوَفَّى عام 232هـ، ومن الجاحظ المُتَوَفَّى عام 255هـ، ومن ابن قتيبة المُتَوَفَّى عام 276هـ ومن ابن المعتز المُتَوَفَّى عام 296هـ يمكننا عندئذ أن نعدّ الصحيفة أول نص تراثي متميز يعالج قضايا الإبداع. [2]

4.3.مظاهر التناول النقدي للإبداع في النصين :

[1]– شدوح علاء محمد، قضايا النقد في وصايا النقد، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، العدد: 3، أيلول/سبتمبر، 2014م، ص: 15–16.

[2]– ينظر: أحمد زياد محبك، قراءة الإبداع في صحيفة بشر بن المعتمر ص: 159.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

لعل من أهم قضايا الإبداع و مظاهره التي عرض لها النصان نذكر:

وقت الإبداع وعوامله :

أول ما أثاره بشر في صحيفته القيمة الجوهرية لميقات العملية الإبداعية، أي الوقت المناسب لخوض غمار التجربة الإبداعية، فليس الأديب بقادر على الإبداع في كل لحظة، ولا يؤاتيه القول في كل زمن، ولاشك أن اختيار الوقت الملائم أمر مهم بالنسبة للعملية الإبداعية لأن: « هناك علاقة وثيقة بين عمليات التفكير وعملية اختيار الوقت المناسب لاستدعاء الذاكرة وهما ظاهرتان متكاملتان لتنظيم العملية الإبداعية»[1]، يقول: «**خُذْ من نفسك ساعةَ نشاطِك وفراغِ بالِك وإجابتها إياك...وأعلمْ أنَّ ذلك أجدى عليك ممَّا يُعطيك يومُك الأطولُ، بالكدِّ والمطاولة والمجاهدَة، والتكلُّف والمعاودَة** »[2]

وقد كان بشر حريصا على قيمة الوقت ضمن إطاره الداخلي لمفهوم عملية الإبداع، متفاديا تعامله مع الزمن الكرونولوجي إلى زمن الإنتاج الأدبي، أو ما يمكن أن نطلق عليه بالزمن العملي للفعل الذي يقدر بالحركة النشطة وفراغ البال وإجابة النفس ومطاوعتها، وهذه العوامل الثلاثة هي "النشاط، والفراغ، وإجابة النفس"، عوامل الإبداع نفسها التي تقوم عليه أسس التجربة الإبداعية الناجحة.[3]

[1]– عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1992م.ص: 27–28.

[2]– الجاحظ، البيان والتبيين، ج: 1، ص: 135–136.

[3]– ينظر: عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ص: 32، وأحمد زياد محبك، قراءة الإبداع في صحيفة بشر بن المعتمر ص: 143–144.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

ولا شك أن حديث بشر بن المعتمر عن لحظة الإبداع؛ وهي اللحظة التي تخصب فيها ذات الأديب، وتشرق نفسه، وتحفز إرادته للتعبير عن حركاته الوجدانية التي تدفعها تجربة نضج إحساسه به، وتنبيه الأدباء إلى أهمية استغلالها، يعد سبق الدراسات النقدية الحديثة التي تستخدم مجال علم النفس في استخلاص بعض المعايير النقدية.[1]

وقد أدرك أيضا أبو تمام بحنكته في مجال الإبداع الشعري وحسه النقدي الأوقات المواتية للإبداع والتي يمكن حصرها في جانبين متداخلين، أولهما نفسي وثانيهما فكري، ولو أن الجانب النفسي هو الأصل والأساس، يقول: «**يا أبا عُبادة؛ تخيَّر الأوقاتَ وأنت قليلُ الهُمومِ، صِفْرٌ من الغُمومِ.**»[2]

وعلى عكس بشر بن المعتمر الذي لم يحدد ميقات العملية الإبداعية فإن أبا تمام اصطفى لتلك الساعة زمنا معينا وهو وقت السحر تحديدا، لأن النفس تكون قد أخذت قسطها من الراحة والنوم فتقبل على الإبداع في أقوى درجات نشاطها. يقول: «**واعْلَمْ أنَّ العادةَ في الأوقاتِ أن يقصدَ الإنسانُ لتأليفِ شَيْءٍ أو حِفْظِه في وَقْتِ السَّحَرِ؛ وذلكَ أنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحةِ، وقِسْطَهَا مِنَ النَّوْمِ.**»[3]

مثبطات الإبداع ومعيقاته :

ينتقل بشر بن المعتمر إلى الحديث عن مثبطات الإبداع وعوارضه التي يمكن أن تقف حجر عثرة في طريقه، فإن وجد الأديب في نفسه ضيقا، وتصلبا أن لا يجهدها ويحملها على الإبداع، وأن يركن إلى الراحة النفسية راميا من ذلك التغلب على المثيرات

[1]– ينظر: عبد الحكيم بلبع، أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، جمهورية مصر العربية، ص: 196.

[2]– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 2، ص: 114.

[3]– المصدر نفسه، ج: 2، ص: 114.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

الخارجية والاهتمام بوعي الذات أثناء عملية المخاض الإبداعي حين قال: «**فلا تعجَلْ ولا تضْجَر، ودَعْهُ بياضَ يومِك وسوادَ ليلِتك، وعاوِدْه عند نشاطِك وفراغِ بالك.**»[1]

ولم يكتف بشر بن المعتمر بذلك بل أرشد الأديب إلى ما يتجاوز به العوارض النفسية ويساعده على تفجير ما بداخله من مكنونات وطاقات إبداعية، وذلك: «**لأن النفوسَ لا تجود بمكنونها معَ الرّغْبة، ولا تُسْمحِ بمخزونها مع الرّهْبةِ، كما تجود به مع الشَّهوة والمحبّة.**»[2]

وقد كان أبو تمام–هو الآخر–على وعي بمثبطات الإبداع وعوارضه في أن يطمئن الشاعر إذا ما أتاه الضجر، عندئذ فليترك الشاعر النظم إلى حين فراغ القلب من الملل والسآمة، وإلى حين استرداده لشهوته في النظم، لأن أي محاولة للإبداع والقلبُ منشغلٌ والخاطرُ منغصٌ مصيرها الفشل، يقول: «**وإذا عارَضَكَ الضَّجَرُ؛ فأَرِحْ نَفْسَكَ، ولا تعملْ شِعْرَكَ إلاَّ وأنتَ فارغُ القَلْبِ، واجْعَلْ شَهْوَتَكَ لقولِ الشِّعْرِ الذَّريعةَ إلَى حُسْنِ نَظْمِهِ؛ فإنَّ الشَّهْوَةَ نِعْمَ المُعِينُ.**»[3]

أي أن فتيل الطاقة الإبداعية يتوهج حينما يكون استجابة لرغبة داخلية ممزوجة بالعاطفة والمحبة للفن الشعري، والحماسة التي تدفعه دفعا، فإن هذه النشوة ستكون سبيلا لتحقيق المستوى المنشود ويصبح للشعر عظيم القيمة والتأثير.[4]

منازل الإبداع وأصناف المبدعين :

---

[1]– الجاحظ، البيان والتّبيين، ج: 1، ص: 138.

[2]– المصدر نفسه، ج1، ص: 138.

[3]– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج: 2، ص: 115.

[4]– ينظر: الناصر بناني، من معالم الخطاب النقدي الاستباقي: وصيّة أبي تمام للبحتري، مجلة مقامات، العدد: 3، تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي أفلو–الجزائر، 2018م.ص: 8.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

وينفرد بشر بالحديث عن منازل الابداع وأصناف المبدعين دون أبي تمام، ويرى أن للإبداع الفني ثلاث منازل :

المترلة الأولى؛ لا تكون إلا في أول وهلة وأول النظر و وأول التكلف، يقول: «**فإن كانت المترلةُ الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمَح لك عند أوَّل نظرك وفي أول تكلُّفك، وتجد اللّفْظة لم تقع موقعَها ولم تَصِر إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافيةَ لم تحُلَّ في مركزها وفي نِصابها، ولم تتَّصل بشكلها، وكانت قلِقةٌ في مكانها، نافرةً مِن موضعها، فلا تُكْرِهْها على اغتصاب الأماكن، والنزولِ في غير أوطانها؛ فإنّك إذا لم تَتَعاطَ قرضَ الشّعر الموزون، ولم تتكلّف اختيارَ الكلام المنثور، لم يعِبْك بترك ذلك أحد.**

فإنْ أنت تكلّفتهما، ولم تكن حاذقًا مطبوعًا ولا مُحْكِما لشأنك، بصيرًا بما عليك وما لك، عابَك مَن أنت أقلُّ عيبًا منه، ورأى مَن هو دونَك أنّه فوقَك..»[1]

المترلة الثانية؛ من لم يسمح له طبعه من أول وهلة، وتعاصى عليه القول بعد إحالة الفكرة، عليه ألا يضجر بل ينتظر حتى يعاوده نشاطه ويفرغ باله، فإنه لا يعدم الإجابة، يقول: «**فإن ابتُليت بأنّ تــتكلفَ القولَ، وتــتعاطى الصنعةَ، ولم تسْمَح لك الطِّباعُ في أوّل وَهلة، وتعاصَى عليك بعْدَ إحالة الفكرة، فلا تعجَلْ ولا تضْجَر، ودَعْهُ بياضَ يومِك وسوادَ ليلتِك، وعاوِدْه عند نشاطِك وفراغِ بالك؛ فإنَّك لا تَعدم الإجابةَ والمواتاة، إن كانت هناك طبيعةٌ، أو جرَيْتَ من الصِّناعة على عِرْق.**»[2]

[1]– الجاحظ، البيان والتّبيين، ج: 1، ص: 137–138.

[2]– الجاحظ، البيان والتّبيين، ج: 1، ص: 138.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

فأصحاب **المنزلة الأولى** يبدعون عن أول وهلة وأول النظر وأول التكلف، وأصحاب **المنزلة الثانية** يبدعون بعد تكلف واصطناع ومعاودة، وحين يميز بشر بين منزلتين في الإبداع على أساس من العفوية والتلقائية، فإنما يميز في الواقع بين صنفين من المبدعين من الأدباء (الشعر/النثر): **الصنف الأول** من يمارس عملية الإبداع الفني والموهبة متأصلة عنده، وهو الحاذق المطبوع، الذي يتحقق لديه الإبداع عفوا، **والصنف الثاني** من يتكلف الإبداع لأن الطبع والاستعداد عنده في حاجة إلى تثقيف وتدريب ومعاودة، وهو الذي يتحقق لديه الابداع تكلفا؛ ومثل هذا التصنيف على بساطته يتفق مع ما يلجأ إليه علماء النفس المعاصرون من تصنيف المبدعين إلى نوعين: صنف يعتمد على التلقائية، وصنف يعتمد على الإرادة.[1]

أما **المنزلة الثالثة**؛ و فيها لا يمكن تحقيق الإبداع في الأدب عفوا ولا تكلفا، ولو بعد حين من الاستراحة، حيث لم يجد التدريب ولا المعاودة، ولذلك يوصيه "بشر بن المعتمر" بضرورة التحول من صناعة الأدب إلى أشهى الصناعات إليه وأخفها عليه، يقول: «**فإن تمنّعَ عليك بعدَ ذلك من غير حادثِ شغلٍ عَرضَ، ومن غير طولِ إهمال، فالمنزلةُ الثّالثةُ أن تـــتحوّلَ من هذه الصناعةِ إلى أشْهَى الصناعاتِ إليك، وأخفّها عليك**»[2]

وواضح أن "بشرا" لا يرى بأن الإبداع متعلق فقط بالأدب، وإنما هو يمتد إلى المعنى العام الواسع للنشاط الإنساني الذي يشمل مختلف المجالات والميادين، فهو صناعة كسائر الصناعات وإن كان يعد الإبداع في الأدب من أول أصناف الابداع.

[1] – ينظر: أحمد زياد محبك، قراءة الإبداع في صحيفة بشر بن المعتمر ص: 151–152.

[2] – الجاحظ، البيان والتّبيين، ج: 1، ص: 138.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

وجدير بالذكر أن انفراد "بشر بن المعتمر" بتناوله لمنازل الإبداع وأصناف المبدعين دون أبي تمام، يكشف عن إدراكه الواضح للعمليات النفسية الكامنة وراء فعل الإبداع.

5. نتائج الدراسة :

من خلال هذه المقاربة النقدية في هذين النصيين التراثين المتميزين(صحفية بشر بن المعتمر/وصية أبي تمام للبحتري) اللذين تفاوت الحديث فيهما عن الإبداع، وتشاكل في بعضهما الآخر، يمكن الخروج ببعض النتائج التي نسوقها في الآتي :

1– يعد بشر بن المعتمر من أوائل النقاد وأهل البلاغة الذين تناولوا موضوع الإبداع الفني، بطريقة واعية لامست جوهر العملية الإبداعية، فكشف طبيعته، وحدد أوقاته، وأبرز عوامله وصنف منازله، وشخص عوارضه و مثبطاته، وهو بذلك يكون قد وضع الثوابت والأسس التي انطلق منها النقاد لدراسة الإبداع.

2– وصية أبي تمام للبحتري دون صحيفة بشر بن المعتمر في العمق والوضوح، والنفاذ إلى عملية الإبداع، فأبو تمام يكتفي بما هو أكثر شمولا أو عموما مما هو عند بشر بن المعتمر، ولا يعمد مثله إلى التدقيق، على الرغم من أنهما يلتقيان في الحض على تخير أوقات الفراغ، وترك العمل في حالة الضجر، ورد الإبداع إلى الشهوة، ولو أن الوصية أكثر من الصحيفة حرصا على النصح والوعظ والزخم التوجيهي الذي تزخر به.

3– يشتمل النصان على مجموعة من القواعد والقوانين التي لا بد للمبدع أن يراعيها لحظة الإبداع، فإذا تقيد بها كُتِب لأدبه الاستحسان والانتشار، و إذا ابتعد عنها كان مصيره العزوف والاستهجان.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

4–إن هذه النصوص التراثية المتميزة تحمل في طياتها عصارة فكرهم النقدي، وتنبئ عن مدى تفتح العقلية العربية آنذاك، وترسم لنا طريقا صحيحا لفهم عملية الإبداع.

5– لا يفوتنا أن القراءة النقدية الناجعة للإبداع هي قراءة مجتهدة ودؤوبة ومحملة بمخزون معرفي عميق وخبرة إبداعية تشحذها رؤية ثاقبة تروم الكشف والابداع، وذلك لم يكن ببعيد عن الممارسة النقدية العربية القديمة.

6. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1.6 الكتب:

1 ــ ابن الأثير (ضياء الدين أبو الفتح نصرالله بن محمد تــ: 637هــ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة–مصر.

2 ــ ابن أبي الأصبع(عبد العظيم بن الواحد بن ظافر تــ: 654هــ) تحرير التحبير، تحقيق: حفني محمد شرف، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1995.

3 ــ أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد–العراق، 1989م.

4 ــ الأصفهاني (أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين تــ: 356هــ)، الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر–بيروت، الطبعة الثالثة، 1429هــ–2008م.

5 ــ البديعي: (يوسف تــ: 1037هــ) هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام، تحقيق: عبد الإله نبهان و عبد الكريم الحبيب، المجمع الثقافي، أبوظبي–الإمارات العربية المتحدة، 1424 هــ –2003 م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

6 ــ التوحيدي (أبو حيان علي بن محمد بن العباس تــ: 414هــ) رسالتان للعلامة الشهير أبي حيان التوحيدي، مطبعة الجوائب بالاستانة العليه، قسطنطينية، الطبعة الأولى، 1301هــ.

7 ــ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر تــ: 255هــ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة السابعة، 1418هــ–1998م .

8 ــ الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، 1384هــ–1965م.

9 ــ ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمّد تــ: 852هــ)، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 1423هــ–2002م.

10 ــ الجرجاني(علي بن محمد بن علي الزين الشريف تــ: 816هــ)، التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة–جمهورية مصر العربية.

11 ــ الحصري (أبو إسحاق إبراهيم بن علي تــ: 453هــ)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت–لبنان، الطبعة الرابعة، 1900م.

12 ــ الحموي (تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله بن حجة تــ: 837هــ) خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث، بيروت–لبنان.

13 ــ ابن خلدون (وليُّ الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد تــ: 808 هــ)، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد درويش، دار يعرب، دمشق–سورية، الطبعة الأولى، 1425هــ–2004م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

14 ــ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر **تـــ**: 681هـــ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت–لبنان، 1972م.

15 ــ داود سلوم، النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف، مكتبة الأندلس، بغداد–العراق، الطبعة الثانية، 1970م.

16 ــ الذهبي(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان تـــ: 748هـــ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 1402هـــ1982م.

17 ــ روبرت ج. ستيرنبرج، المرجع في علم نفس الإبداع، ترجمة: محمد نجيب الصبوة، وخالد عبد المحسن، وأيمن عامر، وفؤاد أبو المكارم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة–جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 2005م.

18 ــ الزبيدي، (السيد محمد مرتضى الحسيني تـــ: 1205هـــ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـــ–1987م.

19 ــ ابن سلّام الجمحي (أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن سالم تـــ: 232هـــ)، طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة.

20 ــ الشريف المرتضى (علي بن الحسين الموسوي العلوي تـــ: 436 هـــ)، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر عيسى البابي الحلبي، 1373هـــ–1954م.

21 ــ الشريشي (أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن تـــ: 619 هـــ)شرح مقامات

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

الحريري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، 1998م.

22 ــ ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تــ: 395هــ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399 هــ–1979م.

23 ــ القرطاجني (أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن محمد تــ: 684هــ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت–دار الغرب الإسلامي، ط: 3، 1986م.

24 ــ القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق، تــ: 456هــ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الخامسة، 1401هــ–1981م.

25 ــ عبد الحكيم بلبع، أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، جمهورية مصر العربية .

26 ــ عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1992م.

27 ــ العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل تــ: 395هــ)، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، 1371هــ–1952م.

28 ــ الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني تــ: 1094هــ)، الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، الطبعة الثانية، 1419هــ–1998م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

29 ــ ابن المعتز (عبد الله بن المعتز العباسي تــ: 296هــ)، طبقات الشعراء، قدم له وشرحه ووضع فهارسه: صلاح الدين الهواري، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 2002م.

30 ــ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم تــ: 711هــ)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، و هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة–جمهورية مصر العربية.

31 ــ الوطواط (رشيد الدين محمد العمري تــ: 573 ه) حدائق السحر في دقائق الشعر، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، المركز القومي للترجمة، القاهرة–جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية، 2009م.

2.6 البحوث والمقالات:

32 ــ أحمد زياد محبك، قراءة الإبداع في صحيفة بشر بن المعتمر، مجلة علامات في النقد، ج21، المجلد: 6، النادي الأدبي الثقافي بجدة–المملكة العربية السعودية، سبتمبر: 1417–1996م.

33 ــ سعيد بكور، قراءة في وصية أبي تمام للبحتري، بحث منشور على شبكة الانترنت، بموقع مجلة رابطة أدباء الشام، قسم: النقد الأدبي، 21 كانون الثاني 2012م. http: //www.odabasham.net

34 ــ شدوح علاء محمد، قضايا النقد في وصايا النقد، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، العدد: 3، أيلول/ سبتمبر، 2014 م.

35 ــ عبد الكريم محمد حسين، وصية أبي تمام للبحتري الإسناد والتوثيق، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 19، العدد: 3+4، 2003م.

36 ــ مهدي شاكر العبيدي، أبو حيان التوحيدي ونبع النتاج الأصيل، بحث

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 01 السنة: 2021 الصفحة: 839–865 تاريخ النشر: 27–06–2021

منشور على شبكة الانترنت، بموقع الحوار المتمدن، محور: الأدب والفن، العدد: 6311، تاريخ النشر: 2019/08/5، التوقيت: 00: 20.

https: //www.ahewar.org/debat/nr.asp

37 ــ الناصر بناني، من معالم الخطاب النقدي الاستباقي: وصيّة أبي تمام للبحتري، مجلة مقامات، العدد: 3، تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي أفلو–الجزائر، 2018م.